

قناة لوغوس بالولايات المتحدة الأمريكية  
إيبارشيّة لوس أنجلوس  
لقاء على الهواء. السبت ٢١ نوفمبر ٢٠١٥ م  
الراهب القس أناسيوس المقاري

إجابة سؤال ورد على الهواء مباشرة عن تأليه الإنسان وذلك في أثناء الحديث عن سرّ المعمودية في يوم السبت ٢١/١١/٢٠١٥ م

## أولاً: معنى قول بطرس الرسول أننا نصير «شركاء الطبيعة الإلهية»

في سرّ المعمودية المقدّس، نولد بنيّاً لله. «المولودين ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجُل، بل من الله ولدوا». وفي سرّ الميرون المقدّس، يسكن فينا الرُّوح القدس. «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم». «لأنّ هيكل الله مقدّس الذي أنتم هو». وفي سرّ الإفخارستيا، نتحد بالمسيح، ونثبت فيه. «من يأكل جسدي، ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه». «من يأكلني يحيا بي». فسكني المسيح والرُّوح القدس فينا، هو الذي يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية. ولم يكن هذا ممكناً أبداً، لولا أنّ الرّب صار جسداً. «والكلمة صار جسداً وحلّ فينا».

يقول البابا أناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣ م):

«الكلمة صار جسداً، لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبُّل اللاهوت»<sup>(١)</sup>.

ὁ Λόγος σὰρξ ἐγένετο<sup>(٢)</sup>, ἵνα τὸν ἀνθρώπων δεκτικὸν<sup>(٣)</sup> θεότητος ποιήσῃ.

ويقول أيضاً:

[إذ نحتّم (بالرُّوح القدس) فمن الطبيعي أن نصير «شركاء الطبيعة الإلهية» كما يقول بطرس (٢) بط ١ : ٤)، وهكذا فكل الخليقة تشترك في الكلمة بالرُّوح ...]<sup>(٤)</sup>.

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[المسيح] يقول: "... بسبب كوني أنا الحياة بالطبيعة، قد ربطتكم من خلالي بالله الآب، الذي هو نفسه الحياة بالطبيعة. وبهذا جعلتكم شركاء ومشاركين في صفة عدم الفساد التي له ... قد جعلتكم شركاء الطبيعة الإلهية، لما وضعتُ روحي فيكم". فإنّ المسيح فينا بواسطة الرُّوح القدس، وقد استرجع ما هو فاسد إلى عدم فساد، وغيره من الموت إلى عدم موت ... لأنه حينما أرسل الله روحه وجعلنا شركاء طبيعته، وبه جدّد وجه الأرض (مز٤٠ : ٣٠)؛ فقد تغيّرنا إلى جدّة الحياة، ناقضين الفساد التابع من الخطيئة، ومنتقلين فيما بعد الحياة الأبدية، بنعمة ربنا يسوع المسيح وبمحبتته للبشر] (تفسير إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٠).

ويقول القديس كيرلس الكبير أيضاً:

[فمع أنّ الابن لا يحوّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص - لأنّ هذا مستحيل - إلاّ أنّ سماته الروحية، ترتسم بنوع ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهية بقبول الرُّوح القدس. وبهأى

١ - ضد الأريوسيين ٥٩:٢

٢ - من الفعل γένομαι أي يصير.

٣ - من الفعل δέχομαι أي يتقبّل = to receive . وأمّا كلمة δεκτικὸν وأصلها δεκτικὸς فهي هنا مفعول به بمعنى: capable of receiving أي: "قادراً على تقبُّل".

Cf. Liddell and Scott, s.v.

٤ - رسائل القديس أناسيوس عن الرُّوح القدس، ٢٣:١

لاهورته غير المفحوص، يُضيء مثل البرق في نفوس القديسين<sup>(٥)</sup> [ضدًا نستور ٣: ٢].

ويقول القديس كيرلس الكبير أيضاً:

[صار الكلمة جسداً بدون أن يتحوّل إلى ما لم يكن من قبل، وبدون أن يفقد كيانه ككلمة الله، ولكنّه وُلد بالجسد من امرأة واقتنى لنفسه ذلك الجسد المأخوذ منها، وذلك لكي يعرس نفسه فينا باتحاد غير مفترق... إذا، فاللوعس لما وحّد بنفسه ذلك الجسد الذي كان فيما سبق خاضعاً للموت، فلكونه هو نفسه الإله والحياة قد أعتق هذا الجسد من الفساد، بل وجعله أيضاً جسداً حياً... إذاً فحينما نأكل جسد المسيح مخلصنا كلنا ونشرب دمه الكريم، فإننا نفتني الحياة داخلنا ونصير بنوع ما واحداً معه. بل ونسكن فيه ونقتنيه هو أيضاً داخلنا] (تفسير لوقا ٢٢: ١٩).

• ومن ثمّ، فلا يقصد الآباء في شرحهم لقول الكتاب المقدّس بأننا «شركاء الطبيعة الإلهية» هو خروجنا عن حدود طبيعتنا البشريّة المخلوقة، فتحوّل إلى طبيعة الله، حاشا. ولكننا بالرّوح القدس الذي سكن فينا بالمعموديّة، ننال انسكاباً حقيقياً من حياة الله نفسه في داخلنا، كقول المسيح له المجد مخاطباً الله الآب: «أنا فيهم»، وأيضاً: «لأنّ محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالرّوح القدس المعطى لنا» (رومية ٥: ٥). وذلك من أجل تجديد خلقتنا، كقول بولس الرّسول: «سيعبّر شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده» (فيلبي ٣: ٢١). وهي الغاية النهائيّة التي من أجلها جاء ابن الله إلينا على الأرض.

## ثانياً: معنى "تأليه الإنسان" في الكتاب المقدّس وعند آباء الكنيسة

وهذا الأمر يقودنا بالضرورة لكي نوضّح ما كان يعنيه السيّد المسيح نفسه، وآباء الكنيسة أيضاً، بتأليه الإنسان. يقول المزمور (٨١ سبينيّة/ ٨٢ بيروتيّة) وهو لآساف<sup>(٦)</sup>:

«اقام الله في مجمع الآلهة. وفي الوسط يدين الآلهة. إلى متى تقضون بالظلم، وبوجه الخطأة تأخذون. احكموا لليتيم والفقير. زكوا الدليل والبائس. أنقذوا مسكيناً وضعيفاً، وخلصوهما من يد الخاطئ. لم يعلموا ولم يفهموا، أنهم في الظلمة يسلكون. تنزعزغ جميع أساسات الأرض. أنا قلت إنكم آلهة وبنو العليّ كلكم. لكنكم مثل البشر تموتون. وكأحد الرؤساء تسقطون. أقم يا الله دن الأرض. لأنك أنت ترث في جميع الأمم».

ويقول الإنجيل المقدّس بحسب مار يوحنا البشير (١٠: ٣٤، ٣٥):

«أحاجهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتمكم من عند أبي. بسبب أيّ عمل منها ترجموني؟ أحابه اليهود قاتلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهاً. أحاجهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم، أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب. فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدف لأنني قلتُ إنني ابنُ الله؟».

إذاً فالرب نفسه يقول بالتأله. وهو نفسه الذي يقول: «السّماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول» (متى ٢٤: ٣٥). وفي ذلك يقول القديس كيرلس الكبير:

[كلام الله هو طبعاً صادق ولا يمكن أبداً أن يكون كاذباً؛ لأنه وإن كنا لا نفهم بأية طريقة يعمل الله

٥- القديس أنبا مقار شهد له سعة آباء عظام أهم رأوه مضيئاً داخل قلايته في الظلام. والأب شيشوي ساعة نباحته، وكل الآباء جالسون حوله، رأوا وجهه يُشع منه نور كالشمس، وظل هذا النور يتزايد حتى لحظة خروج الرّوح. والأب بامو، قيل عنه إن الله مجده إلى درجة أنه كان يصعب أن يتطّلع أحد إلي وجهه بسبب مجد الذي كان يُشع منه. وأرسانيوس القديس؛ دخل عليه تلاميذه فجأة وهو يصلي فوجدوه كله كالنار. والقديس يوسف الكبير رآه إحوته وهو يصلي رافعاً يديه، وإذا بأصابعه كعشر شعلات من نار.

٦- لآساف ١٢ زمورا (٤٩، ٧٢-٨٢).

**مثل هذه الأعمال، لكن هو نفسه يعرف طريقة (عمل) أعماله.** لأنه عندما لم يفهم نيقوديموس كلمات الرب المختصة بالمعمودية المقدسة، وقال بجهل: « كيف يمكن أن يكون هذا؟ » (يو:٣:٩)، فإنه سمع المسيح يجيب قائلاً: « الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا » [عظة ١٤٢ على إنجيل لوقا ٢٢].

وهناك خمسة عشر أب<sup>(٧)</sup> من آباء الكنيسة تكلموا عن التآله أو الاتحاد بالله. فاتحادنا بالمسيح لا يصيرنا آلهة، ولا يصيرنا كالمسيح في جوهر طبيعته الفائقة، ولكنه يُدخلنا في سرّ بنوته للآب، حينما برّهم بدمه، ووحدهم في ذاته.

تأليه الإنسان في فكر آباء الكنيسة، لا يُخرج الإنسان عن إنسانيته، أو يغيّر شيئاً من طبيعته الإنسانيّة. فمفهوم الآباء عن التآله لا يعني تحوّل الطبيعة البشريّة إلى طبيعة إلهيّة، ولكنه يعني تأهيل الطبيعة البشريّة ليكون لها إمكانية الحياة مع الله في شركة محبة معه. تأهيل الطبيعة البشريّة لكي تستطيع بطريقة ما، أن تتقبل في داخلها حياة الله، فيسكن المسيح فينا، ونقتنيه في داخلنا، ونكون هيكلًا للروح القدس.

ولكن الأمر الجدير بالانتباه جدًّا، هو أن تأليه الإنسان، أي اتحاد الإنسان بالله، لا يتم خارجاً عن المسيح. فخارجاً عن المسيح، يستحيل أن يتم أي اتحاد أو حتى أي اقتراب إلى الله.

٧- هم: القديس أنثاسيوس الرسولي. العلامة ديديموس الضريز. القديس كيرلس الكبير، القديس باسيليوس الكبير. القديس غريغوريوس النريزي. القديس غريغوريوس النيسي. القديس يوحنا فم الذهب. القديس هيلاري. القديس أوغسطينوس. القديس أنبا أنطونيوس. القديس أنبا مقار الكبير. القديس إيسيدوروس. مار أفرام السرياني. الشيخ الروحاني. مار اسحق السرياني.